	جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان **كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية/ قسم التاريخ** **السنة الثانية ماستر تخصص تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط** **مقياس الاستشراق وتاريخ الغرب الإسلامي / السنة الجامعية: 2024-2025** **الأستاذة: فيلالي فاطمة**

ملخص المحاضرة الأولى: الاستشراق - المفهوم والدوافع والأهداف-

مقدمة:

يعد الاستشراق من أخطر الظواهر المضادة التي تعرض لها الإسلام والعروبة عبر التاريخ الإنساني ومراحله المتباينة، ولم ينصف الإسلام والعرب إلا القليل من المستشرقين في كتاباتهم، بل إن الكثير من حملات هؤلاء ضد الإسلام، كان تهدف بالأساس إلى تشويه عقيدته والتشكيك فيها، ومحاولة تنفير الناس من اعتناقها، وبالتالي وقف انتشارها، من هنا تبدو خطورة ما يصبوا إليه المستشرقون عند دراستهم للإسلام فكرا وثقافة وحضارة، مما يفرض علينا التحلي باليقظة والحذر والانتباه لكل ما يكتبه هؤلاء، وفرز ما هو صحيح فنشجعه ورفض ما هو باطل بالرد عليه.

1 – مفهوم الاستشراق والمستشرق:

تعددت تعريفات الاستشراق ومفاهيمه، فالاستشراق ككلمة مشتق من كلمة الشرق والذي يعني مشرق الشمس، ثم يتسع مفهوم الكلمة ليدل على كل المعارف والعلوم التي يحويها الشرق، بما فيها الجانب الحضاري وسماته، والشرق عموما يشمل الوطن العربي الممتد في آسيا وإفريقيا، وصولا إلى الهند والصين ومناطق البحار النائية.

إن استعمال مصطلحي الشرق والغرب في العصور الحديثة كان اعتمادا على تقسيم الأوربيين للعالم إلى شرق وغرب، ويعنون بالغرب أنفسهم وبالشرق آسيا وإفريقيا، وإذا كان هذا المصطلح حديث الاستعمال فهو قديم في مفهومه، حيث كان في العالم منذ زمن قديم قوتان تتصارعان، إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب وهما: الفرس والروم، ثم الصراع بين المسلمين والروم، وبعدها الصراع بين المسلمين والصليبيين، ثم الصراع العثماني الأوربي مدا وجزرا، ثم كان آخر فصول الملحمة بين الشرق ممثلا في إفريقيا وآسيا، والغرب ممثلا في أوربا وأمريكا.

إن الاختلاف في تحديد مفهوم الشرق ينشأ عنه حتما اختلاف في تحديد مفهوم المستشرق، يذكر بعض الباحثين أن المستشرقين هم الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، ويذكر آخرون أن المستشرقين هم غربيون اهتموا بالدراسات الشرقية في مجالات التاريخ والفلسفة والآثار والاقتصاد وغيرها، ودرسوا لغات الشرق وفنونه وحضارته.

إذا الاستشراق لفظ أكاديمي يرى البعض أنه يطلق على كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو البحث فيه، وإذا كان جل الباحثين قد أجمعوا على أن المستشرق هو كل من تخصص في دراسة الشرق أو جانب من جوانبه، فإنهم اختلفوا في تحديد هويته، فمنهم من أطلق المصطلح على كل من تخصص في دراسة الشرق سواء كان شرقيا أو غربيا، ومنهم من خص به الغربيين فقط المهتمين بدراسة الشرق، ونشير هنا أن فهم غير المتخصصين للمستشرق أنه كل من يختص في دراسة الإسلام والعرب من غير المسلمين، ويرجع إلى أن معظم بحوث هذه الفئة تركزت حول العرب والإسلام، وكانت في أغلبها تنطلق من الحقد على الإسلام، مما جعل المسلمين يطلقون لفظ المستشرق على كل من يتناول علومهم وحضارتهم بالبحث والتحليل، والحقيقة أن كلمة مستشرق تدل على كل من درس الحضارة العربية الإسلامية وتحامل عليها.

2 – دوافع الاستشراق:

أكد الكثير من الباحثين والمهتمين بدراسة الاستشراق على أن هناك مجموعة من الدوافع أدت إلى ظهوره منها:

أ ـ الدافع الديني:

نشأ إثر شعور المسيحيين بخطر انتشار الإسلام بشكل واسع، وخاصة بعد فشل الحملات العسكرية الصليبية ضد الإسلام، فاتخذ مسيحيو الغرب أسلوبا فكريا جديدا يهدفون من خلاله إلى إعطاء صورة مشوهة وخاطئة عن الإسلام، تتضمن تشكيك المسلم في دينه، وإبعاد غير المسلم عن اعتناق الإسلام.

تأسس الدافع الديني على أيدي الرهبان وبرعاية الكنيسة، التي جعلت الغاية من الاستشراق الهجوم على الإسلام في عقيدته وعبادته وأحكامه، وتصويره بأنه دين الشهوات والقتل وسفك الدماء، كل ذلك من أجل التغطية على فشل الكنيسة واصطدام مبادئها بالعلم والواقع والتاريخ، وتزعزعت ثقة الغربيين بالكنيسة التي كانت عندهم المركز العصامي لتعاليمهم وأفكارهم، ومن جهة أخرى خوفًا من انتشار الدين الإسلامي الذي بدأ يزحف شرقًا وغربًا على أيدي الدعاة والتجار والمسافرين الذين اختلطوا مع المجتمعات الإسلامية، وأخذوا الإسلام من منابعه الأصيلة.

ب ـ الدافع الاستعماري:

بعد أن انهزم الغرب في حروبه الصليبية على العالم الإسلامي، لجأ الاستعمار إلى تأسيس مراكز وأكاديميات مختصة بشؤون العالم الإسلامي وجند مستشرقين لها، وصرف جهودًا جبارة وأموالاً طائلة، لتكون مرافقة مع استعمارها للأمة وبلادها، درست هذه المراكز حال الأمة الإسلامية عقديًا وجغرافيًا واقتصاديا وعسكريا، وعرفت نقاط الضعف فيها فبدأ الاحتلال العسكري مرة أخرى من خلالها، وكان احتلالاً عسكريًا وفكريا في آن واحد بإظهار تفوقهم العلمي والتقني، وتخلف المسلمين في ذلك، وكذا بث روح الضعف والوهن في نفوسهم لقتل روح المقاومة والتمسك بدينهم، فكان وسيلة قوية لتلك الدول على الاحتلال العسكري والبقاء لفترات أطول في ديار المسلمين، والاستيلاء على ثرواتهم وتسخيرها في مصالحهم.

هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبه هؤلاء المستشرقون في إفشاء روح الإقليمية والعنصرية بين المسلمين والتركيز على إثارة الفتن القومية بين الشعوب، كافتخار العربي بالعروبة والتركي بالتركية والمصري بالفرعونية، والكردي بالكردية، والفارسي بالفارسية وهكذا كان كل ذلك عامل هدم وخراب.

والحق أن الاستشراق صار ملازمًا للاستعمار أينما حلّ، وتوسع مجاله ونطاقه بتوسع احتلاله واغتصابه لحقوق الشعوب عامة والمسلمين خاصة، وهكذا كان الاستشراق أداة الاستعمار وعينه في العالم الإسلامي، من أبرز جنوده المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي (silvestre de sacy) أول أستاذ للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية، وأستاذ ومدير في كلية الفرنسية، ألف نشريات باللغة العربية لجيش نابليون بونابارت الكبير، وهو أيضا ممن خططوا للجيش الفرنسي في اجتياح الجزائر عام 1830م.

ج ـ الدافع السياسي:

بعد تحرر البلاد الإسلامية من الاستعمار رأت الدوائر الاستعمارية أن حاجتها السياسية تقتضي أن يكون لها في قنصلياتها وسفاراتها وسائر المؤسسات الدولية من لديهم زاد جيد من الدراسات الشرقية، ليتولوا مهمات سياسية مرتبطة بالعالم الإسلامي منها: الاتصال بالسياسيين ورجال الفكر والصحافة لمعرفة أرائهم واتجاهاتهم وواقع بلادهم، وبثّ الاتجاهات السياسية التي يريدون بثها فيهم، والاتصال بعملائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل الأمة الإسلامية، وقد ظهر في الآونة الأخيرة في معظم الدول الإسلامية والعربية نوع من التواصل الثقافي بين الملحقيات الثقافية للدول الغربية والطبقات المثقفة من الدول الإسلامية التي تحتضن هذه الملحقيات، وتعقد الندوات العلمية والحفلات الأدبية، بحجة تبادل الآراء والأفكار أو ما سمي في العصر الحديث بالتقارب الديني أو الحوار الحضاري.

د ـ الدافع الاقتصادي:

من الدوافع التي ساعدت على تنشيط حركة الاستشراق، رغبت الغربيين بغزو البلاد الإسلامية غزوا اقتصاديا، باستغلال ثرواتها وخيراتها التي تروي اقتصادهم وتدعم مصانعهم وشركاتهم، وبالتالي تسهل عليهم حركة التطور العلمي والتقني، وذلك باستيراد ما تفتقر إليه من المواد الخام الطبيعية وبأسعار زهيدة وبخسة، وإبقاء مستوى التراجع والتخلف في منطقتنا الإسلامية، التي كانت مهدًا للصناعات والاختراعات، وجعلها منطقة استهلاك فحسب، وبذلك يتم القضاء كليا على الصناعات الوطنية والمحلية، وكل ذلك ثمرة واضحة لمخططات المستشرقين مع دولهم الاستعمارية لنهب ثروات الأمة الإسلامية بشتى السبل والوسائل.

وضمن هذا الدافع وظفت المؤسسات الاقتصادية الغربية فريقا من المستشرقين، ليكونوا وسطاءهم ومستشاريهم ومترجمين لهم في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية، ونشر فريق آخر من المستشرقين كتب التراث الإسلامي وحصلوا منها ثروة طائلة، بذلك صارت الدراسات الاستشراقية وسيلة من وسائل كسب المال لكثير من المستشرقين.

هـ ـ الدافع العلمي:

هناك فئة قليلة ونادرة جدًا من هؤلاء الغربيين الذين يقبلون على دراسة الإسلام دراسة حقيقية لفهمه والاطلاع عليه، مجردين من الدوافع والأغراض التي سبق ذكرها، وهؤلاء يعدون من الصادقين في أبحاثهم ودراساتهم، إلا أنهم غير مدعومين من الدول الغربية، ولا من المؤسسات الاستشراقية التي تأسست على أساس تشويه الإسلام وتحريف أحكامه عند الناس، من أجل ذلك لا يكون لهم صيت قوي وشهرة شائعة في الأوساط العلمية والسياسية والدولية، وربما يجد هذا القسم من المستشرقين مضايقات

وعقوبات من قبل حكوماتهم؛ لأنهم لا يمثلون وجهة نظرهم ولا يخدمون مصالحهم، ومن هؤلاء المستشرقين من يعتنق الإسلام بعد أن يدرس الإسلام دراسة عميقة ومجردة، وربما يتحول إلى داعية ومفكر يدافع عن الإسلام.

ومن هؤلاء المستشرقين المفكر محمد أسد صاحب كتاب «الإسلام على مفترق الطرق»، وتوماس أرنولد صاحب كتاب «الدعوة إلى الإسلام» والذي ركز فيه على التسامح الديني في الإسلام والتزام المسلمين بهذا المبدأ عبر التاريخ، إلا أنه تعرض لأكبر هجمة استشراقية واتهموه بأنه لم يعتمد في كتابه على الأدلة العلمية، وإنما على عاطفته تجاه المسلمين، رغم أنه لم يورد حادثة من التاريخ إلا ووثقها من مصادرها ومراجعها العلمية، والمستشرق الفرنسي «دينيه» الذي أسلم في الجزائر وغيّر اسمه إلى «ناصر الدين دينيه» وألف مع كاتب جزائري كتابًا في السيرة النبوية، وله كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام» الذي بيّن فيه حقد الغرب وتحاملهم على الرسول صلى الله عليه وسلم.

3 – أهداف الاستشراق:

تنقسم أهداف المُسْتَشْرِقِينَ في جُملتهم من الدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام:

أ- هدف عِلْمِيّ مشبوه:

يهدف إلى التشكيك بصحَّة رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وإنكارهم أنْ يكون الإسلام ديناً من عند الله، والتشكيك في صِحَّةِ الحديث النبوي، وبقيمة الفقه الإسلامي الذاتية، وفي قُدْرَةِ اللُّغة العربية على مسايرة التطوُّرَ العِلْمِي، تلك هي الأهداف العلميَّة التي يعمل لها أكثرهم.

ب- الأهداف الدِّينِيَّةِ والسياسية:

تتلخَّص في: إضعاف ثقة المسلمين في تراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قِيمٍ وعقيدة ومُثُلٍ عُلْيَـا، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم، ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم، فيكونوا عبيداً له، يجرُّهُمْ حُبُّهَا إلى حُبِّهِمْ، أو إضعاف روح المقاومة في نفوسهم، وروح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم، عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم.

ج - أهداف علميَّة خالصة:

لا يقصد منها إلاَّ البحث والتمحيص، ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف قليل عدده جداً، كما سبق ذكره. وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة، لا يسلم الكثير منهم من الأخطاء في البحث، والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إمّا لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإمَّا لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها. هذه الفئة هي أسلم الفئات الثلاث في أهدافها، وأقلّها خطراً، إذ سرعان ما يرجع أصحابها إلى الحق حين يَتَبَيَّنُ لهم، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جَوِّ البيئة التي يدرسها، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع، ولكنهم يلقون عنتاً ممن يتَّهمونهم بالانحراف عن النهج العِلْمِيّ، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرُّب إليهم، كما فعلوا مع " توماس أرنولد " حين أنصف المسلمين في كتابه "الدعوة إلى الإسلام"، فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، على عكس مخالفيهم معهم.

لتحقيق تلك الأهداف، استخدم الكثير من المستشرقين وسائل عدة تمثلت في: المؤلفات والدراسات، وعقد المحاضرات والندوات واللقاءات، وإنشاء المؤسسات ودور النشر التي تتناول العرب والإسلام.